العدد الثالث والعشرون
2006

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1374 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2006 مسيحي

د. ضو محمد بوني
جامعة الفاتح

الإلهام لغة: مأخوذ من لَهَم، ومعناه ابتلع أو ازدرد[1].

وفي الاصطلاح إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض من غير اكتساب ولا فكر.

وفسره البعض: بأنه إلقاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه.

والإلهام أخص من الإعلام، إذ أن الإعلام قد يكون بطريق الاستعلام وهو الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه.

كما أنه أخص من التعليم، لأن التعليم قد يكون إلهاماً، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2] أي بخلق المدارك الضرورية في المكلف، وقد يكون التعليم بنصب الأدلة السمعية أو العقلية. أما الإلهام فإنه لا يجب إسناده ولا استناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة، وإنما هو الخاطر، ينبه صاحبه، فيفطن لذلك، ويفهم المعنى بأسرع ما يمكن، ولهذا يقال: فلان ملهم، إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يشاهده، فهو هاجس يخطر على القلب، فينتبه العقل من ذاته للمعنى المطلوب.

(1) لسان العرب لابن منظور، 12/ 554/ 555. دار صادر، بيروت.

(2) سورة الشمس، الآية: 8.

كما أن الإلهام ليس سبباً في حصول العلم به لعامة الخلق، وليس أداة لإلزام الغير، لكن يحصل به العلم في حق الإنسان نفسه[3].

والفرق بين الإلهام والوحي: أن مصدر الإلهام باطني لأنه أمر كشفي أما الوحي فإنه أمر شهودي يحصل بواسطة الملك، وهو من خواص الأنبياء والرسل، بينما الإلهام أعم بالإضافة إلى أن الوحي قد يأتي برسالة يجب تبليغها للمخاطبين بها، في حين أن الإلهام يكون لإرشاد الملهم فقط.

كما يختلف الإلهام عن الوسواس في المصدر: فالأول: صادر عن الله، والثاني صادر عن الشيطان.

ومع أن الإلهام أصبح من الحقائق المسلم بها، إلا أننا نجد البعض ـ قديماً وحديثاً ـ قد وقف منه موقف المرتاب: فالهجويري «من المتصوفة ـ يذكر أن المعرفة التي نحصل عليها من الإلهام ليست يقينية، ويعقب الغزالي على ذلك: بأن الهجويري، ربما يقصد بالإلهام الفكرة التي تخطر عن العقل، ولم يقصد النور الإلهي الذي يضيء في النفس، والذي إن شعر به الملهم مرة لن يضل طريقه[4].

ذلك أن الإلهام من المصطلحات التي استخدمها الصوفية، بمعنى النور الإلهي الذي يضيء في النفس لتعرف طريقها.

فقد انتهت محنة الغزالي بتلك الاشراقة الباهرة، التي كشفت له أن أوليات العقل حاضرة، وأن الحاضر لا يطلب، وأنه إذا طلب نفر واختفى، فالشيء الحاضر لا يحتاج إلى برهان يثبت وجوده، وإذا حاولت إثبات الحاضر فأنت كمن ينفيه، وبهذا انهزم الشك، وانقشعت الوساوس، وعادت الثقة بالعقل، وهذه فكرة عظيمة وفريدة ورائدة وجديدة كل الجدة.

أما ديكارت، فقد توصل إلى تقويض الشك بإشراقة مختلفة نسبياً، فلقد

---

(3) انظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي. تقديم رفيق العجم. 1/257، 256. مكتبة لبنان، ناشرون.

(4) دائرة المعارف الإسلامية/ النسخة العربية 4/ 378، 377. طبعة الشعب/ بتصرف.

ألح الشك المطلق عليه حتى شككه في الحواس، وفي العقل، ولم يتوقف عند هذا الحد، وإنما شككه في وجوده نفسه، فواجه هذا التشكيك المروع بوجود الفكر، وقالت له الإشراقة الإلهامية: إنك تشك في وجودك، وتقاوم هذا الشك، والشك من الروح الخبيث.

«الشيطان» والمقاومة من الفكر، وما دام أنك تفكر فأنت موجود، وقال مقولته المشهورة «أنا أفكر إذن أنا موجود» فانهزم الشك بالفكر وعاد العقل يزاول نشاطه الطبيعي.

هكذا يأتي الإلهام إشراقاً مفاجئاً يسعف المفكر في المواقف العسيرة، وإن كان لا يقتصر عن حالات العسر، وإنما يفيض الإلهام عندما يكون الإنسان مستعداً له في المواقف والممارسات العلمية والعملية والاجتماعية والإدارية والسياسية..

لذلك فإن جابرييل مارسيل يقسم البحث عن الحقيقة إلى مستويين:

1 ـ مستوى البحث الذي يلتزم بالخطوات المنهجية، وهذا المستوى يستطيع أن يعمل فيه كل من نال تدريباً كافياً.

2 ـ أما المستوى الثاني فهو مستوى التفكر التصوري الخلاق الذي يتولد عن الاهتمام القوي المستغرق المشحون بالرغبة المتوقدة والصدق العاطفي. وبهذا يكون واضحاً أنه رغم الأهمية الكبرى للحدس الخارق في العلم والعمل. فإن الإلهام قدرة نادرة لا تتاح لكل الباحثين، وإنما هي قدرة استثنائية لا تنكشف إلا لذوي المواهب الفذة، وحتى هؤلاء ليست متاحة لهم بشكل مطلق. ومن هنا فإن بعض الباحثين من العلماء والفلاسفة يستبعدون الحدس من مصادر المعرفة، ولكن تاريخ الإبداع والتحولات المعرفية في شتى المجالات يشهد بأن البصيرة النافذة ليست من مصادر المعرفة فحسب، وإنما هي أرقى أنواع العلم، فهي سلم الارتقاء عن الراهن. فالواقع والتاريخ كلاهما يؤكد أن معظم الوثبات في العلوم

والأعمال والفنون كانت نتاج الحدس الخارق النابع من الاهتمام القوي المستغرق[5].

صحيح أن الإلهام لا يمكن تلقينه، لكن العجز عن تعليمه للآخرين لا ينتقص من قيمته، وكذلك الحدس هو نوع من الإلهام الفردي، فالحدس الصائب أرقى وأصعب وأخفى من أن يكون متداولاً بالتعليم، لأنه نادر ندرة الإبداع، بل هو الإبداع ذاته، إنه إحساس داخلي يلمع في أذهان الموهوبين، فيكشف لهم ما يبحثون عنه، ويقدم لهم حلول المشاكل التي تواجههم، فهو يتطلب الموهبة أولاً ثم الامتلاء والمعايشة، والاهتمام الشديد، فإذا توافرت هذه الأجواء، فإن الإنسان يكون متأهباً لاصطياده، ولا يوجد أي طريق آخر يغني عنه، لذلك جعله الغزالي مفتاح أكثر العلوم والمعارف، وأنه نور ينبجس، ولكن لا يناله إلا من يهتم به ويترصد له[6].

حتى الذين يتشككون فيه، لا ينكرون أنه مصدر الكثير من النبوءات العلمية، ويتقبلون النتائج الكبرى التي يتمخض عنها.

إن العلماء والفلاسفة الذين يؤكدون الأهمية القصوى للحدس كثيرون، والمثبت مقدم على النافي، لأنه يتكلم عن شيء وجده هو، وأسعفه في وقت الشدة، ومن وجد حجة على من لم يجد، ولكن ينبغي التنبيه إلى أنه لا يأتي من فراغ، إنه يأتي من عمق أبعد مما هو في متناول معظم الناس، فهو لا يمكن أن يسطع في أجواء الرتابة، إنه أبعد ما يكون عمن يتلقون العلم كرهاً أو اضطراراً من أجل الشهادات وكسب العيش.

لذلك يخطئ الذين يتوهمون إمكانية تخريج المبتكرين في التعليم النظامي إلا إذا توسع في الحوار، وحمل الدارسين على النقاش الحر، مع التركيز على غرس العشق للعلم، وخلق روح الاستمتاع بالعمل. فالعقل لا يمكن ملؤه عنوة، ولا احتلابه كرهاً.

---

(5) شبكة المعلومات. 28875.

(6) شبكة المعلومات. 28875.

وهناك نوع من الإلهام يشترك فيه الإنسان والحيوان معاً، مثل الأفعال الغريزية. وهي ما أشار إليها **ابن سينا** بقوله: «من ذلك الإلهامات الفائضة على الكل من الرحمة الإلهية، مثل حال الطفل ساعة يولد في تعلقه بالثدي.. وإذا تعرض لحدقته بالقذى بادر فأطبق جفنيه، قبل فهم ما يعرض له، وما ينبغي أن يفعل، وكأنه غريزة لنفسه لاختيار معه»[7].

وقال أيضاً: «وللحيوانات الأخرى، وخصوصاً للطير، صناعات أيضاً، فإنها تصنع بيوتاً ومساكن لاسيما النحل، لكن ذلك ليس يصدر عن استنباط وقياس، بل هو عن إلهام وتسخير[8].

ويؤكد هذا ما اكتشفه علماء الإحياء، من قصة «ثعبان السمك والسلمون» ورحلاتهما العجيبة، التي لا يجدون لها تعليلاً، إذ أنها لا تنضوي إلا تحت أدلة الإلهام التي تثبت وجود الخالق سبحانه وتعالى:

1 ـ يعيش ثعبان السمك في الأنهار عندما يكتمل نموه، بأن يبلغ العاشرة من عمره، ويهاجر من البرك والأنهار في مختلف أنحاء العالم، فتلك التي تعيش في النيل وأنهار أوروبا، تسبح حتى المحيط الأطلسي، وتلك التي تعيش في النيل وأنهار أفريقيا، تسبح إلى البحر المتوسط، ثم تخترق مضيق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي، ثم تستأنف جميعاً رحلة تقطع فيها آلاف الأميال قاصدة الأعماق السحيقة في جزر الهند الغربية، جنوب برمودا، حيث تتزاوج وتضع البيض، فتكون مخلوقات صلبة شفافة كأنها خيوط صغيرة لها عيون بارزة، وتتهيأ للعودة إلى موطن آبائها في رحلة تستغرق أكثر من ثلاث سنوات في بعض الجهات، لتصل إلى مصاب الأنهار التي عاش فيها آباؤها، سواء أكانت أنهاراً في أوروبا، أم ترعاً في وسط إفريقيا، أم بحيرات في آسيا، ولم يحدث قط أن صيد ثعبان ماء أمريكي في المياه الأوربية، أو ثعبان أوروبي في المياه الأمريكية إطلاقاً!!

(7) الشفاء، الفن السادس من الطبيعيات. طبعة براع 1956، ص178.

(8) المصدر السابق، 201.

2 ـ وسمك السلمون الذي يعيش في البحار حين يبلغ طور النضج الجنسي، وتكون له القدرة على التناسل يرحل إلى الأنهار ذات المياه العذبة، لتضع الإناث البيض، وتصب الذكور عليه حيواناتها المنوية. وعندما تخرج الأجنة تمضي فترة من حياتها في ماء النهر حوالي سنتين، ثم ترجع بعدها إلى البحر. ومتى أصبحت قادرة على التناسل، تعود إلى النهر الذي نمت وترعرعت فيه، ولا يخطئ السلمون النهر الذي نشأ فيه مهما تقاربت مصاب الأنهار بعضها من بعض[9]!!

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[10].

(9) شبكة المعلومات، www.Jubuil net.com.

(10) سورة يس، الآية: 35.